أركان الإسلام الخمسة

"الإسلام" بناء شامخ قائم على خمسة أركان راسخة، بدونها ينهار البنيان أو يضعف حتى يكون قريبًا من الانهيار..

خمسة أركان

لسنا ذئابًا تعيش منفردة كلٌّ منها على حدة، ولسنا خرافًا بلا عقول تساق في قطعان..

يحتاج الإنسان لموازنة شديدة الدقة بين احتياجاته الروحية واحتياجاته البدنية، وبين حياته الفردية وحياته الاجتماعية، ولا يتحقق هذا التوازن بمثل الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام؛ فبها يتصالح ظاهر الإنسان مع باطنه، ويتكامل الفرد المسلم مع إخوانه المسلمين، فلنرَ إذن كيف يحصل ذلك:

الشهادتان:

إنهما المبدأ الذي يوجد مجتمعًا متوحِّدًا حول قضية هي أعدل القضايا في هذا الوجود (إفراد الخالق بالعبادة والطاعة) .. إنهما ال Shared value التي تكفل مجتمعًا لديه القدرة على التماسك بدون أن تمزِّقه الصراعات: إله واحد مطاع.. ورسول واحد متَّبع..

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

والشهادتان إقرار لله وحده بالعبادة؛ لأنه هو الخالق الرازق مدبِّر أمر الكون وحده، وشهادة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وحده بلزوم الطاعة والاتباع في كل ما يأمر به وينهى عنه؛ إذ هو رسول مبلّغ لأوامر الله الخالق لعباده.

الصلاة:

يا لها من حكمة أن فرض الله علينا هذه الصلوات بين ساعات وساعات في اليوم الواحد، لتبقى الروح أبدًا إما متصلة بخالقها وخالق الكون أو مهيَّأة لتتصل به. وتلك الصلوات أكبر عاصم للمؤمن من مواقعة ما يُغضب ربَّه؛ وكيف يفعل ذلك وهو إما قد انتهى من صلاة لربّه أو ينتظر صلاة أخرى؟! فهو يخاف أن يضيّع أثر الصلاة التي قد صلى وما حصل له فيها من أنس بربه وصفاء لروحه، أو يخاف أن يقف بين يدي ربِّه في الصلاة التالية مخطئًا أو آثمًا..
وهكذا نفعل الصوات الخمس بالمسلم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمسِ كمَثَلِ نهرٍ جارٍ غَمْرٍ على بابِ أحدِكُم، يغتسِلُ منهُ كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ». [رواه مسلم].

وأنت إذا تأملت في الكون من حولك وجدتَّه في خضوع تام، وطاعة مطلقة لخالقه العظيم؛ فلا تمرُّد ولا جنوح، ولا ملل ولا سآمة، ولا راحة ولا عطلة، ولا إضراب ولا انقطاع عن العمل؛ فكأنما الكون دائمًا في صلاة وسجود.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } [سورة الحج: 18].

ولقد كان الإنسان بما كرَّمه ربُّه به أحقَّ من جميع المخلوقات بأن يكون في صلاة دائمة وقيام وركوع وسجود لا انقطاع لها، ولكنه اختير للاستخلاف في هذه الأرض، وهيِّئ لهذه المنصب، وأودعت فيه الحاجات والرغبات التي تناسب هذه المهمة، فكانت خلقته التي طابقت هذه الغاية تأبى أن يكون في صلاة دائمة، وكان لا بد من عبادة تحقق له الاستقرار الروحي ودوام الاتصال بخالقه والتقرُّب منه، وتناسب في الوقت نفسه فطرته وخلقته ومنصبه في هذا الوجود.

فكانت الصلوات الخمس المفروضة.

الزكاة:

إنها قطبا الجرافيتي في المفاعلات النووية، التي تمنع الانفجار الذي يدمِّر المجتمعات، الانفجار الذي إمَّا عانته المجتمعات التي مالت يسارًا تجاه الشيوعية؛ فكانت النتيجة أن تضوَّر الناس جوعًا، أو تلك التي مالت يمينًا تجاه الرأسمالية؛ فتضوَّر الناس جوعًا أيضًا!

فكانت "الزكاة" ربع عشر المال يدفعه الأغنياء كلَّ عام إذا بلغت ثرواتهم حدًّا معيَّنًا يسمى (النِّصاب)، أو نِسَب أخرى يسيرة من أنواع معينة من الممتلكات كالحبوب والثمار وبهيمة الأنعام، فيطهِّر الأغنياء بذلك أموالهم ويرتفعون بنفوسهم عن حضيض البخل والأخلاق السيئة، ويواسون إخوانهم من الفقراء والمحتاجين، قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [سورة التوبة: 103].

الصيام:

عبادة فريدة كتبها الله على أمم الأنبياء قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وجعلها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ركنًا من أركان الإسلام، فيصوم المسلمون عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لمدة شهر كامل كلَّ عام..

إنها تربية للنفس على كبح جماح شهواتها والتسامي على ملذاتها، وحفظ للصحة وعافية للبدن، وبيان لاتصال نسب هذه أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأمم الأنبياء من قبله؛ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة: 183].

وفي الصيام مظهر عظيم ليسر الإسلام وسماحته؛ إذ رخص الله للمسلم في ترك الصيام حال مرضه أو سفره، ثم يقضي إذا تعافى أو رجع إلى بلده.

الحج:

الحج ذلك الاجتماع المهيب الذي فرض الله على المسلم المستطيع لتكاليفه المالية والبدنية أن يحضره مرة واحدة في حياته، فيجتمع المسلمون من مختلف الألوان والأعراق والبلدان، في بقعة واحدة، بلباس واحد، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، أمة واحدة تعظم ربًّا واحدًا، متحدث الإنجليزية ومتحدث الصينية ومتحدث العربية... كلهم قد رُدُّوا إلى فطرتهم النقية وإنسانيتهم الخالصة.

إننا لو أغفلنا كل معجزات الإسلام ولم نر إلا معجزته التشريعية وتنظيمه الفذَّ للحياة، لكفى بهما دليلًا يؤمن به كل عاقل على أن هذا الدين من عند خالق الكون جل وعلا.